خطاب مفتوح
إلى رئيس مجلس الوزراء

رفعة الرئيس..

إذا أنا تشرفت بتوجيه هذا الخطاب إلى مقامكم الرفيع فى هذه الآونة بالذات، فإنما هى الغيرة وحدها التى تدفعنى إلى ذلك. حاشا أن يكون هناك دافع آخر. واسمح لى أن أخاطب رفعتك فى صراحة وفى غير تكلفٍ، إنك قادم على محادثات أو مفاوضات أو استماع لكلام من جانب الطرف الآخر بعد أن عرف كلمة مصر، وفهم أهداف مصر التى أصبحت واضحة ومحددة. ولا سبيل إلى الانحراف عنها قيد شعرة، فسر فيما أنت قادم عليه على بركة الله، وليكن الله فى جانبك يأخذ بيدك ويجعل التوفيق حليفك والنجاح نهاية جهودك.

إننى لا أخشى على الأهداف القومية «الجلاء الناجز ووحدة الوادى تحت التاج المصرى»، وهى بين يديك فأنت وطنى منذ نهضت مصر فى سنة 1919، فقد كنت على رأس الموظفين الذين ثاروا على الاستعمار البريطانى وظللت مؤمنًا بقضية بلادك لم تنحرف يومًا إلى الحلول الوسطى، وأنت المؤمن بالحريات تضيق نفسك عند أقل مساس بها، وأنت الحريص على الدستور نصًا وروحًا، ولقد اعترفت لك بذلك وتشهد به مضابط مجلس الشيوخ وذكرت لك فى ثناء وحمد موقفك فى سنة 1936 يوم رجعت عند تعيين أعضاء مجلس الشيوخ إلى صاحب الأكثرية فى الانتخابات التى جرت وقتئذ لمجلس النواب. فأثبت أنك تحترم الدستور نصًا وروحًا، سجلت لك هذا اعترافًا بفضلك بجلسة 20 فبراير سنة 1951، ولم تكن حاضرًا تلك الجلسة ولا كنت فى الحكم، فيقول أحد إننى قد تحدثت تقربًا

وزلفى، وإنما كنت أقارن موقفًا شريفًا لك بمواقف لغيرك، لا أريد أن أصفها بأكثر من أنها كانت عدوانًا صارخًا على الدستور نصًا وروحًا.

كما أننى لا أخاف عليك لأنك الحذر اليقظ. لا يستطيع أحد أن يخدعك أو يموه عليك، خصوصًا وأنت المتتبع لقضية بلادك العارف بتفصيلاتها وتطوراتها وما انتهى إليه إجماع الأمة فى شأنها.

ولكن الإنجليز قوم ماكرون، ألحوا بأفواه ساستهم وبجرائدهم وزعموا أنَّ كبرياءهم لا يسمح لهم بالتحدث إلي الوزارة السابقة، واتهموا رئيسها ووزير خارجيتها بالعناد والصلابة.

وشاءت الظروف أن تحدث أحداث القاهرة الأخيرة فنحيت فى أعقابها تلك الوزارة، فزالت من طريق الإنجليز، فإن كان الأمر أمر كبرياء من جانبهم لا أكثر، فقد انتهى وهم لا يتحدثون الآن إلى من كرهوا الحديث معهم. أما إذا كانوا قد طمعوا فى أن تهدأ الحالة فتنام مصر، فواجب رفعتك وواجبك وحدة أن تفهمهم أنهم واهمون وأنَّ مصر لن تفرط فى شيء من حقوقها جل أو هان.

إنهم اليوم يقولون -إن صح ما نقلته الأنباء- إنهم مستعدون للمحادثة أو المفاوضة أو الكلام دون أن يقيدوا مصر بمقترحات الدول الأربع. فاحذرهم، فقد سبق لهم أن قالوا لسعد فى سنة 1924 إنَّ المفاوضات حرة من كل قيد، لأنه أبى أن يدخلها على أساس تصريح فبراير سنة 1922، وقالوا للنحاس فى سنة 1930 مثل هذا القول لما أبى أن يدخل المفاوضة على أساس مقترحات محمد محمود - هندرسن، لكنهم وقت المفاوضة أصروا واستكبروا استكبارًا، فقطع كل من هذين الزعيمين المفاوضات وعاد إلى بلاده.

إنَّ مصر لا تريد الدفاع المشترك ولا شيئًا يشبه الدفاع المشترك أو يقرب منه، ولا يمكن أن تقبل فى النطاق الدولى شيئًا يمكن أن يخرج عن حدود التزاماتها كعضو مستقل فى هيئة الأمم المتحدة.

ثم احذر – يا رفعة الرئيس – مكرهم فى التسويف والمماطلة، فهم فى ذلك أيضًا دهاة. فكم اتخذوا من مرض وزير الخارجية أو رئيس الوزراء سببًا للتأجيل، وكم اتخذوا من اشتراك أحدهما فى مؤتمر أو اجتماع سببًا آخر للتأجيل، وكم من مرة خلقوا المعاذير بل اختلقوها، ولا ضرر عليهم من التسويف فهم جاثمون على صدورنا.

وأمر آخر – يا رفعة الرئيس – أتجرأ على أن أوجه نظرك الثاقب إليه لتحتاط له، وهو أننى أخشى أن يعرضوا علينا شيئًا يقرب من مطالبنا ولا يحققها كاملة، فتخور عزائم، وتثور خلافات، ونتفرق شيعًا، فيهدأ بال الإنجليز، وتنام عيونهم ملء الجفون، وتذهب جهود الوادى مع الريح.

سيدى الرئيس:

ضع أمامهم أهداف مصر واطلب كلمتهم فيها واضحة صريحة، فإما سلموا بها وإما قطعت الحبل فى غير رفق ولا هوادة. وثق أنهم قد زلزلت أقدامهم فلن يعودوا يستطيعون أن يثبتوها فى الوادى بعد يوم 8 أكتوبر سنة 1951. وثق أنَّ الشعب قد أعطى مقامك الرفيع الفرصة، لأنه مؤمن بوطنيتك، واثق من إخلاصك لوطنك، وثق أيضًا أنه فى الوقت نفسه، على استعداد لتلبية النداء إلى الكفاح فى لمح البصر.

وإننى أعيد الرجاء إلى مقامك الرفيع أن تتفضل فتحمل كلمتى على الغيرة، فما أنا بالذى يجوز له أن يبصرك وأنت الثاقب البصر. وما أنا بالذى يحمسك وأنت الغيور على مستقبل وطنك.

وأختتم خطابى بأن أكرر الضراعة إلى العلى القدير أن يأخذ بيدك، وأن يجعل النجاح حليفك وأن يحقق على يديك أهداف البلاد الوطنية.

وتقبلوا مقامكم الرفيع أجل الاحترامات.